www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852
Vol. 8, Issue 1, 2026, pp. 1 - 9

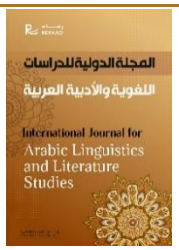

A Functional and Conceptual Study of the Preferential Weighing between Grammar and Linguistic Sciences

الترجيح بين النحو وعلوم اللغة- دراسة وظيفية مفهومية

Alhady Bushra Yagoub[1], Abbass Mohammed Abdelbagei[2*]
[1] Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Al-Geneina, Sudan.
[2] Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Nyala, Sudan.
* Corresponding Author: Abbass Abdelbagei (abasskbr5@gmail.com)

الهادي بشرى يعقوب[1]، عباس محمد عبد الباقي[2*]
[1] أستاذ مشارك- قسم اللغة العربية- كلية التربية- جامعة الجنينة- السودان.
[2] أستاذ مشارك- قسم اللغة العربية- كلية التربية- جامعة نيالا- السودان.
*الباحث المراسل: عباس عبد الباقي (abasskbr5@gmail.com)

This file is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2025/11/6	2025/12/3	2025/12/28

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2026.8.1.1

Abstract:

Objectives: The study aims to evaluate the justifications for favoring one of the two approaches by examining the nature of the two concepts and analyzing their functions in serving linguistic studies. It also seeks to demonstrate that the sharp separation between grammar and linguistic sciences is not accurate, as they intersect in central objectives such as explaining linguistic phenomena and developing linguistic competence, while differing in their perspectives and analytical mechanisms.

Methodology: The study adopted the comparative method, employing both terminological and functional analytical tools. The research also examines the impact of cognitive developments and modern linguistics on the reconfiguration of the concept of grammar, freeing it from traditional scholastic rigidity through contextual and functional approaches that restore the linguistic phenomenon to its dynamic and real-life vitality.

Conclusion: The study concludes that the preference between the two disciplines should not be exclusionary, but rather a functional and epistemological determination of which approach is more suitable for analyzing particular linguistic data.

Keywords: *Preference; Grammar; Rhetoric; Linguistics; Comparison; Linguistic Analysis; Linguistic Studies*.

الملخص:

الأهداف: تهدف الدراسة إلى تقويم مبررات الترجيح بين الاتجاهين، عبر دراسة طبيعة المفهومين وتحليل وظائفهما في خدمة الدرس اللغوي، وبيان أن الفصل الحاد بين النحو وعلوم اللغة ليس دقيقًا؛ إذ يتقاطعان في أهداف مركزية مثل تفسير الظواهر وبناء الكفاية اللغوية بينما يختلفان في زاوية النظر وآليات التحليل.

المنهجية: اتبعت الدراسة المنهج المقارن، مع توظيف أدوات التحليل المصطلحي والوظيفي. ويناقش البحث كذلك أثر التطور المعرفي واللسانيات الحديثة في إعادة تشكيل مفهوم النحو وتحريره من الجمود المدرسي من خلال المقاربات السياقية والوظيفية التي تمنح الظاهرة اللغوية حيويتها الواقعية.

الخلاصة: توصلت الدراسة إلى أن الترجيح بينهما ليس تفضيلًا إقصائيًا؛ بل هو تحديد وظيفي معرفي يبين أيهما أنسب لتحليل المعطيات.

الكلمات المفتاحية: *الترجيح؛ النحو؛ البلاغة؛ علم اللغة؛ المقارنة؛ التحليل اللغوي؛ اللسانيات.*

الاستشهاد

Citation

يعقوب، الهادي، عبد الباقي، عباس. (2026). الترجيح بين النحو وعلوم اللغة- دراسة وظيفية مفهومية. *المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية*، 8 (1)، 1-9.

Yagoub, A. B., & Abdelbagei, A. M. (2026). A Functional and Conceptual Study of the Preferential Weighing between Grammar and Linguistic Sciences. *International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies,* 8 (1), 1-9. https://doi.org/10.31559/JALLS2026.8.1.1 [In Arabic]

المقدمة:

ظل الموروث النحوي يُدرَّس بوصفه نظاما تقعيديا منفصلًا عن المقاربات اللسانية الحديثة رغم كثرة الدراسات التي تناولت كل منهما على حدة، بينما اتجهت علوم اللغة إلى توصيف الظاهرة دون ربط منهجي بآليات الضبط النحوي، الأمر الذي أدى إلى ظهور فجوة بحثية تمثلت في غياب دقيق للعلاقة الوظيفية بين النحو وعلوم اللغة. أدى وجود هذه الفجوة إلى إضعاف التكامل التحليلي في الدرس اللغوي العربي وإلى ازدواجية في تفسير بعض الظواهر، ومن ثم فإن الدرس اللغوي بحاجة إلى إطار مفهومي يوازن بين الوظيفة التقعيدية للنحو والوظيفية التفسيرية لعلوم اللغة، بما يسد هذه الفجوة.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من مركزية الترجيح في النحو، لم يُدرَس على نحو مقارن يكشف امتداداته وتحولاته بين التخصصات، مما يؤدي إلى انغلاق المصطلح في إطاره التقليدي، وضعف الإفادة منه في العلوم اللسانية الحديثة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تُعيد النظر في مفهوم الترجيح من زاوية مقارنة تكشف ما يجمع بين النحو والعلوم اللغوية الأخرى، وتفتح الباب لإدخال هذا المفهوم ضمن أدوات التحليل اللغوي الحديث، بعد تأصيله وتفكيك بنيته المعرفية.

أهداف الدراسة:

- تتبّع حضور مفهوم الترجيح في النحو العربي.
- رصد ما يقابله وظيفيا في علوم البلاغة وأصول الفقه واللسانيات.
- إجراء مقارنة في المفهوم، والوظيفة، ومرجّحات الاختيار بين هذه العلوم.
- اقتراح تكامل بين المفهوم التراثي والتحليل اللغوي المعاصر.

الدراسات السابقة:

- **دراسة صالح (2021) بعنوان أثر النحو الوظيفي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها**، أثبتت تطبيقات النحو الوظيفي فعالية في تحسين استيعاب المتعلمين، لارتباطها بالوظائف التواصلية والسياقية؛ توصي بتبني مدخل وظيفي في مناهج تعليم العربية. يلتقي مع دراستي في الاستنتاج بشأن أهمية الوظيفة والشرح الوصفي؛ لكنه يظل تطبيقيًا تربويًا، بينما دراستي تضيف بعدًا مفاهيميًا ونظريًا لتحديد متى وبأي مبررات نُرجّح النحو على علوم اللغة أو العكس.
- **دراسة علي (2020) بعنوان: تعليم النحو واللغة للناطقين بغير العربية: رؤية تحليلية**، يؤكد البحث ضرورة ربط تعليم النحو بالوظيفة التواصلية والتهجئة المنهجية عند المتعلمين غير الناطقين بالعربية؛ يقترح مقاربات تربوية تربط القواعد بالسياق العملي للخطاب. تتفق مع فرضيتي في أهمية البُعد الوظيفي وضرورة دمج علوم اللغة مع النحو؛ لكنها تركز على البُعد التطبيقي التربوي أكثر من التحليل المفهومي المنهجي للترجيح.
- **دراسة بخيت (2019) بعنوان و اقع دراسة النحو في أقسام اللغة العربية في المرحلة الجامعية العقبات والحلول**، يرصد البحث مناهج تدريس النحو في الكليات، ويبيّن تمركزها حول القواعد التقليدية مع ضعف ربطها بمناهج علوم اللغة الحديثة؛ يصف ثغرات منهجية تؤثر في كفاءة التعليم والبحث. تدعم الدراسة ملاحظتي عن فجوة منهجية بين النحو وعلوم اللغة داخل الجامعات العربية، ما يمنح دراستي أرضية قوية لتطوير معايير (الترجيح) المفهومي والوظيفي.
- **دراسة كمال اليدن (1997)بعنوان: دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث، حازم علي كمال الدين**، يقدم إعادة قراءة للقواعد النحوية باستخدام نتاجات علوم اللغة الحديثة؛ يعرض نماذج تبيّن كيف يمكن للنحو التقليدي أن يُعاد تأطيره وصفيًا ووظيفيًا. يتقاطع مع هدفي النظري في إجراء تقويم مفهومي للنحو مقابل علوم اللغة، ويمكن استغلاله كمصدر داعم للتحليل؛ الاختلاف أن الكتاب يميل إلى إعادة تأطير القواعد أكثر منه إلى صياغة معايير (ترجيح) منهجية واضحة. تميل الدراسات المذكورة عمومًا إلى التطبيق التربوي وإعادة قراءة القواعد في ضوء علوم اللغة الحديثة، بينما الفجوة التي تشير إليها دراستي صياغة معايير ترجيح وظيفية ومفهومية قابلة للتطبيق في البحث العربي.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: الترجيح في النحو العربي.

المطلب الأول: تعريف الترجيح لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: صور الترجيح عند النحاة.

المطلب الثالث: أدوات الترجيح عند النحاة.

المطلب الرابع: الترجيح والقاعدة النحوية.

المبحث الثاني: الترجيح بين النحو وعلو اللغة.

المطلب الأول: الترجيح الصوتي والصرفي.

المطلب الثاني: الترجيح الدلالي والبلاغي.
المطلب الثالث: الترجيح اللساني.
المبحث الثالث: أثر الترجيح في اللسانيات الحديثة.
المطلب الأول: بناء النظرية اللسانية.
المطلب الثاني: تفسير الظواهر اللغوية.
المطلب الثالث: تشكيل العلاقة بين القاعدة والاستعمال.
الخاتمة.
المراجع.

المبحث الأول: الترجيح في النحو العربي

المطلب الأول: تعريف الترجيح لغة واصطلاحًا

يُعد الترجيح أحد المفاتيح المنهجية الكبرى في التفكير النحوي العربي، وقد أدى دورًا مهمًا في بناء التصورات القاعدية، وتوجيه الأقوال، والموازنة بين الأوجه المختلفة عند تعدد التوجيهات الإعرابية أو التحليلية. وهو مفهوم يشي بالوعي النقدي العميق الذي تميز به النحاة، في تعاملهم مع اللغة بوصفها نظامًا قائمًا على البدائل، لا الأحادية، وهو ما يستدعي أدوات مرجحة تُعين في الاختيار وحكمه بضوابط معلومة.

الترجيح في اللغة مأخوذ من (الرَّجَحان)، وهو ضد (النقصان)، ويقال: رجَح الشيءُ إذا مال وثقل، ومنه رجاحة العقل. قال ابن فارس: "الراء والجيم والحاء أصل يدل على ثقل في الشيء مع ميل، يُقال رجُح الميزان ورجُح الرجل إذا كان عاقلًا راجحَ العقل". (ابن فارس، 2008، ص576).

أما الترجيح في الاصطلاح النحوي فهو: "تقديم أحد الأوجه الإعرابية أو التحليلية عند التعدد بناء على مرجّح معتبر في الصناعة النحوية، كالسماع أو القياس أو الكثرة أو المناسبة السياقية". (الرضي، 1987، ص132).

لم يكن مصطلح (الترجيح) متداولًا بصيغته الاصطلاحية لدى أوائل النحاة كسيبويه والكسائي والأخفش، إلا أن ممارساتهم التحليلية تكشف عن حضور واعٍ لآلية الترجيح عند التعارض بين الأقوال، أو تعدد الأوجه الإعرابية، أو اختلاف المذاهب النحوية. وقد استعملوا عبارات دالة على ذلك مثل: (الوجه، أجود، أقيس، أشبه بكلامهم، أكثر في الاستعمال، هذا أولى، أضعف) وهذه المصطلحات تؤكد قيام عملية ترجيحية وإن لم تُصغ في إطار مفهومي مصطلحي. فمثلًا يقول سيبويه في موضع عن تقديم الخبر على المبتدأ: "فأما قوله: **"فيها عبد الله قائمٌ"** فرفع لأنه لم يكن ليبتدئ بـ(فيها) و(عبد الله) هو المبتدأ... وهذا وجه الكلام، وأجود من قولك: عبد الله فيها قائم". (سيبويه، 1966، ص70).

وفي موضع آخر يتحدث عن حذف الخبر، فيقول "وأما قولك: زيدٌ إن يأتك، فإنك تريد: فله كذا وكذا، وهذا ضعيفٌ قليل في الكلام، والوجه أن تُظهر الخبر". (المرجع السابق، ص321).

يلاحظ أن سيبويه في هذه المواضع يفاضل بين وجوه التركيب من حيث القوة والضعف، أو الكثرة والندرة، أو الملاءمة مع طبيعة كلام العرب، وهي ممارسات تدخل في صميم مفهوم الترجيح.

أما الكسائي، وإن لم يُصنف كتابًا باقيًا يُنسب إليه، فإن مذهبه في الترجيح محفوظ في كتب تلاميذه ومخالفيه، مثل الإنصاف لابن الأنباري، حيث يُنسب إليه ترجيح الوجه الذي يوافق السماع، حتى لو خالف القياس. فقد ذكر ابن الأنباري أن الكسائي يرى في باب إنّ وأخواتها:

"أنَّ دخول (إنَّ) على المبتدأ والخبر المقدم منه لا يُشترط فيه الترتيب، خلافًا للبصريين، واستدل بسماع العرب: إنَّ زيدًا فيها قائمٌ. وهذا عنده أولى لأنه موافق للسماع". (ابن الأنباري، 1961، ج1، ص85).

يبدو أن سيبويه يميل إلى الترجيح بالقياس والأجود، في حين أن الكسائي يرجح بالسماع وكثرة الورود. وهذا يكشف عن تنوّع المعايير المرجحة لدى القدماء، ويؤكد أن الترجيح كان ممارسة منهجية حاضرة وإن غابت تسميته المصطلحية.

المطلب الثاني: صور الترجيح عند النحاة

أولًا: الترجيح بين الأوجه الإعر ابية

كثيرًا ما يرد النص القرآني أو الشعري على وجه يحتمل أكثر من إعراب، فيُرجّح النحاة أحد هذه الوجوه. مثال: قول الله تعالى: ((إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)) (ص: 23).

قال النحاة: "هذا" اسم "إن"، و"أخي" بدل من اسم الإشارة أو خبر. ورُجِّح البدل لأنه أنسب سياقيًا ولفظيًا (ابن هشام، د.ت، ج1، ص 122).

ثانيًا: الترجيح بين الأوجه التحليلية

يُقصد به اختيار التفسير أو الوجه التحليلي الأقرب إلى الصواب والأقوى دلالة بين عدة تفسيرات محتملة لنص أو ظاهرة لغوية أو نحوية أو بلاغية وهو منهج أصيل عند النحاة القدامى، وقد مارسوه بوضوح في كتبهم عند اختلاف التقديرات أو الإعراب أو التوجيهات النحوية.

مثال: في قول الله تعالى: ((إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)) (طه 63). اختلف النحاة في توجيه رفع (هذان) بعد إنّ، والأصل أن تنصبها فتقول: ((إنَّ هذين)) فقد وردت عدة أوجه تحليلية، منها: إن اللفظ جاء على لغة بني الحارث بن كعب الذين يلزمون الألف في المثنى، وقالوا: (إن) في الآية مخففة من الثقيلة،

واسمها محذوف. وقالوا كذلك: أن الكلمة مبنية على الألف في كل حال. ثم رَجَّح سيبويه الوجه الأول، فقال إن الرفع في (هذان) جاء على لغة قبيلة عربية فصيحة تُبقي الألف في المثنى في كل حال، واستشهد بشواهد شعرية تؤيد ذلك (سيبويه، 1966، ج 1، ص 47).

ثالثًا: الترجيح بين الأقوال النحوية

عند اختلاف المدارس، يُرجّح قول على آخر بناء على القياس أو كثرة الشواهد. مثل تفضيل البصريين رفع اسم "لا" النافية للجنس في بعض المواضع خلافًا للكوفيين. (السيوطي، 1978، ص 112).

رابعًا: أدوات الترجيح عند النحاة

- **السماع**

وهو أقوى المرجحات عند أغلب النحويين. قال ابن جني: "العمدةُ على السماع، فإذا ثبت في السماع، فغيره تبعٌ له" (ابن جني، 2001، ج1، ص 88)

- **القياس**

قال سيبويه: "وليس شيء أولى به من شيء إلا بما جاء عن العرب" (سيبويه، 1966، ج1، ص 13). أي أن القياس مُرجّح ما لم يرد السماع بخلافه.

- **الكثرة**

يرجّح الوجه الأكثر استعمالًا. وقد اعتمد هذا المرجح ابن مالك في شرح التسهيل في عدة مواضع، ذاكرا عبارته المشهورة: "والوجوه الثلاثة سائغة، وأجودها كذا،..." أو "والوجهان جائزان".

من أمثلته في باب (المفعول معه) عند الحديث عن (الواو) قال: "والوجهان سائغان، والأكثر أن تكون الواو للعطف إذا أمكن ذلك". وكذلك في باب (الحال) عند الكلام على جواز مجيئها جملة اسمية، قال: "وجائز أن تكون الحال جملة اسمية، والأكثر أن تكون فعلية". (ابن مالك، 1978، ج1، ص 144). يقر ابن مالك الوجهين أو الثلاثة ثم يرجح الوجه الأكثر شيوعا واستعمالا.

- **قلة التقدير**

الوجه الذي يقتضي إضمارًا أقل أو تأويلًا أيسر أولى، كما قرر الرضي في شرح الكافية "والأولى ما قلّ التقدير فيه ووافق المعنى". (الرضي، 1979، ج1، ص 98).

- **السياق والمعنى:**

ينظر النحاة إلى المعنى العام للتركيب فيرجّحون الوجه الذي يتناسب معه. قال الزمخشري: "لا بد من رعاية المعنى في حمل الإعراب عليه". (الزمخشري، د.ت)، ص37).

خامسًا: الترجيح والقاعدة النحوية

القاعدة النحوية ليست حكمًا أوليًا بل هي نتيجة استقرائية وتأويلية لما ورد في اللغة من شواهد واستعمالات وحين يجد النحوي أكثر من وجه في الإعراب أو أكثر من صيغة في التركيب أو أكثر من قياس في المسألة فإنه يُعمل الترجيح لاختيار أحدها ويعمّمه بوصفه قاعدة وقد أشار ابن جني في الخصائص إلى أن النحو قياس وترجيح وأن "المتقدمين يرجّحون الأقيس على الشواذ ويعتمدون الأعم على الأندر" وهو ما يجعل الترجيح أساسًا لا غنى عنه في بناء القاعدة. مثال ذلك ما ذكره سيبويه في باب إعمال إنّ ورفع الاسم بعدها في بعض القراءات والشواهد فقد ذكر وجوهًا ثم رجّح الإعمال على الإهمال مع وجود شواهد على الوجهين لكنه بنى قاعدته على الأرجح في القياس والسماع. ويظهر أثر الترجيح في القواعد النحوية من خلال الآتي:

- **تعدد التوجيهات بسبب اختلاف المرجحات**

من الآثار البارزة للترجيح في النحو تعدد التوجيهات للآية أو البيت أو الجملة وهو ما يراه القارئ في كتب إعراب القرآن وكتب التفسير اللغوي حيث تُعرض الأوجه النحوية ثم يُرجّح أحدها اعتمادًا على معيار خاص وقد يختلف المعيار بين نحوي وآخر فيُفضي إلى ترجيح مختلف.

- **تفسير النصوص**

يُعد الترجيح النحوي أداة فاعلة في تفسير النصوص الأدبية والشرعية على حد سواء، حيث يُمكّن الباحث أو المفسر أو الأديب من المفاضلة بين قراءات نحوية مختلفة تقود إلى معانٍ متمايزة. وقد تكرر هذا الأسلوب في مؤلفات الزمخشري والرازي والبيضاوي، إذ يقدّمون أوجهًا محتملة للإعراب ثم يرجّحون واحدًا منها بالنظر إلى السياق والمعنى العام.

ومن ذلك قوله تعالى: ((ما هذا بشَرًا)) (يوسف31)، حيث يُحتمل أن تكون (ما) نافية و(هذا) مبتدأ و(بشرًا) خبر، كما يُحتمل أن تكون (ما) تعجبية. وقد رجّح أكثر المفسرين النفي لأن السياق يدل على شدة الدهشة والاستنكار، وهو ما تقوّيه القرائن البلاغية والنحوية معًا (الزمخشري، الكشاف، ج2، ص236). وهذا الترجيح بين الاحتمالات النحوية يسهم في توجيه المعنى وضبط المقاصد وهو دور لا يُستهان به في مجالات التفسير والبلاغة والفقه كذلك.

يكشف هذا العرض عن مركزية الترجيح في الفكر النحوي العربي، لا بوصفه مسلكًا جدليًا فحسب، بل أداة تحليلية رفيعة تتقاطع فيها القواعد بالسياق، والسماع بالقياس. وهو ما يجعل من الترجيح حقلًا خصبًا للمقارنة بين علوم اللغة قديمًا وحديثًا.

المبحث الثاني: الترجيح بين النحو وعلوم اللغة

يمثّل الترجيح أحد الآليات المركزية في الدرس اللغوي العربي، ولا يقتصر حضوره على النحو، وإن كان النحو أبرز الميادين التي ظهر فيها بسبب كثرة الخلاف وتعدد الأوجه الإعرابية غير أن التأمل في سائر علوم اللغة يكشف أن الترجيح مبدأ تفسيري عام، ينهض كلما تعددت الاحتمالات واحتاج الدارس إلى تقديم تفسير على آخر اعتمادًا على معايير علمية مختلفة بحسب طبيعة العلم ومجاله.

المطلب الأول: الترجيح الصوتي والصرفي

ففي المستوى الصوتي، عرف التراث اللغوي العربي ضربًا واضحًا من الترجيح، وإن لم يصغ بهذا المصطلح الصريح. فقد كان الخليل وسيبويه وغيرهما يرجحون بعض الظواهر الصوتية على غيرها بناء على الخفة، والانسجام، وكثرة الاستعمال، وهو ما يتجلى في تفسيرهم للإدغام والإبدال والحذف. فسيبويه حين علّل الإدغام لم ينطلق من قاعدة شكلية مجردة، بل من مبدأ فطري في النطق، إذ جعل الخفة سببًا مرجحًا، كما في قوله المشهور: "وإنما أدغموا لأن الإدغام أخف عليهم" (سيبويه، مرجع سابق، ج4، ص433)، وهو تصريح بترجيح تفسير صوتي على آخر اعتمادًا على مبدأ فيزيائي–نطقي. وفي اللسانيات الحديثة يتخذ الترجيح الصوتي صورة أكثر تجريدًا، إذ يُنظر إلى الظواهر الصوتية في ضوء القيود الصوتية ومبدأ الاقتصاد والسهولة والتخفيف، حيث يُرجَّح التحليل الذي يحقق أكبر قدر من الانسجام مع النظام الصوتي للغة وأقل كلفة نطقية. وقد عرض كمال بشر لهذه المبادئ في تحليله للظواهر الصوتية. (بشر، 1998م، ص145.)

أما في علم الصرف، فالترجيح حاضر بقوة في مباحث الاشتقاق وبنية الكلمة، حيث واجه اللغويون القدماء حالات تتعدد فيها الأصول والأوزان، فكان لا بد من ترجيح أحدها. وقد استند هذا الترجيح إلى القياس، وكثرة النظائر، وموافقة السماع. ويُعدّ كلام ابن جني في تقديم السماع عند التعارض مع القياس تأصيلا نظريا لهذا المنهج الترجيحي، قال: "وإذا تعارض القياس والسماع قدم السماع (ابن جني، 1883، ج1،ص37). إذ يدل على وعي مبكر بأن التفسير الصرفي لا يُبنى على الإمكان العقلي وحده، بل على ما تشهد له اللغة في استعمالها. وفي الدراسات الصرفية الحديثة، يتجلى الترجيح في اختيار التحليل الذي يفسّر الإنتاجية الصرفية للكلمات، وفقًا لمبدأ (إنتاجية الأوزان العربية) ويكشف عن قدرتها على توليد صيغ جديدة، وهو ما يجعل بعض التحليلات أولى من غيرها، لا لأنها صحيحة شكليا فحسب، بل لأنها أكثر تفسيرًا لحيوية النظام الصرفي. (أحمد المتوكل، 1999، ص112).

- **الترجيح الدلالي والبلاغي**

ويظهر الترجيح الدلالي بوصفه من أوسع مجالات الترجيح وأدقها، إذ تتعدد معاني اللفظ الواحد، وتتزاحم الدلالات الممكنة، فلا مناص من تقديم معنى على آخر. وقد أدرك علماء العربية هذا منذ وقت مبكر، فربطوا المعنى بالسياق، وجعلوا الكلام يُفسَّر بعضه ببعض، كما عبّر الزمخشري قائلًا: "والكرم يفهم بعضه ببعض" (الزمخشري،1976، ج1، 291) ويتضح ذلك بجلاء في التفسير اللغوي والبياني للقرآن، حيث يُرجَّح معنى مجازي أو مخصوص على المعنى الحرفي العام، استنادًا إلى السياق ومقتضيات الاستعمال، كما في ترجيح معنى القدرة أو السلطان في الألفاظ التي توهم الجارحة (الرازي،1973، ج3، ص314). وفي اللسانيات الحديثة، يتأسس الترجيح الدلالي على نظرية الاستعمال، حيث لا يُنظر إلى المعنى بوصفه قيمة معجمية ثابتة، بل نتيجة تفاعل بين اللفظ والسياق التداولي، وهو ما يجعل الترجيح عملية تفسيرية ديناميكية لا حكمًا قاموسيًا جامدًا (السيد، 1997، ص35).

أما الترجيح البلاغي، فيقوم على المفاضلة بين وجوه التعبير المختلفة، لا من حيث الصحة اللغوية، بل من حيث الأثر والمقام. وقد بلغ هذا المفهوم ذروته عند عبد القاهر الجرجاني، الذي جعل النظم قائمًا على توخي معاني النحو بحسب مقتضى الحال (الجرجاني، 2002، ص117) وهو تصور ينهض على ترجيح بناء بلاغي على آخر لأنه أبلغ وأدق في أداء المعنى. فالتقديم والحذف، والاستعارة، كلها ظواهر لا تُفهم إلا في ضوء ترجيح مقصدي يراعي حال المخاطَب وسياق الخطاب. وفي البلاغة الحديثة والتداولية، يتعمق هذا المفهوم ليغدو الترجيح البلاغي اختيارًا استراتيجيًا يهدف إلى تحقيق أعلى درجات الملاءمة والتأثير، وفق ما تتيحه نظرية الملاءمة ونظريات الخطاب (الجابري، 1985، ص67).

- **الترجيح اللساني**

يأتي الترجيح اللساني في صورته الحديثة جامعًا لهذه الرؤى، إذ لا يقتصر على مستوى لغوي واحد، بل ينظر إلى الظاهرة في كليتها الوظيفية والتداولية والسياقية. فالترجيح هنا لا يقوم على صحة القاعدة أو شيوع المثال فقط، بل على قدرة التحليل على تفسير الاستعمال الفعلي للغة في التواصل. ومن ثم يُرجَّح تفسير تركيبي أو دلالي أو تداولي لأنه ينسجم مع قصد المتكلم ووظيفة الخطاب، لا لأنه أوفق بقاعدة مسبقة. وهذا ما نجده في اللسانيات الوظيفية، حيث تُفهم البنية اللغوية من خلال الوظيفة التي تؤديها في السياق الاجتماعي (فضل، 1992، ص77).

يتبين من استعراض وجوه الترجيح في المستويات اللغوية أن الترجيح يمثل حضورًا مكثفًا في كل المستويات اللغوية، فقد أصبح أداة تفسيرية مركزية عند القدماء، ثم غدا في اللسانيات الحديثة أساسًا لبناء التحليل والنظرية معًا. ويكشف هذا الامتداد عن وحدة منهجية علمية بين التراث اللغوي والاتجاهات اللسانية المعاصرة رغم اختلاف المصطلح والإطار النظري.

المبحث الثالث: أثر الترجيح في اللسانيات الحديثة

لم يعد الترجيح في اللسانيات الحديثة إجراء جزئيًا أو حلًا اضطراريًا عند تعارض التحليلات، بل غدا مبدأ معرفيًا موجّها لبناء النظرية نفسها، وأداة تفسيرية مركزية لفهم الظواهر اللغوية في مستوياتها المختلفة. فقد انتقلت اللسانيات، منذ منتصف القرن العشرين، من البحث عن القاعدة

المطلقة إلى البحث عن التفسير الأوفق للاستعمال، وهو انتقال جعل الترجيح عنصرًا بنيويًا في التفكير اللساني، لا مجرد خطوة لاحقة في التحليل. ويتجلى أثر هذا التحول في ثلاثة مجالات كبرى: بناء النظرية اللسانية، وتفسير الظاهرة اللغوية، وإعادة النظر في العلاقة بين القاعدة والاستعمال.

المطلب الأول: النظرية اللسانية الحديثة

أسهم الترجيح إسهامًا مباشرًا في التحول من اللسانيات المعيارية إلى اللسانيات الوظيفية والتداولية، إذ لم تعد النظرية تُبنى على اختيار وصف واحد يُفترض شموله واطّراده، بل على المفاضلة بين بدائل تفسيرية متعددة، يُرجَّح منها ما يملك قدرة تفسيرية أعلى. ويظهر هذا بوضوح في اللسانيات الوظيفية التي ترى أن البنية اللغوية ليست معطى مستقلًا، وإنما نتيجة تفاعل بين الوظيفة والسياق.

وقد عبّر تمام حسان عن هذا التحول حين نقد النظرة الشكلية الخالصة، مؤكدا أن التحليل اللغوي لا يكتمل إلا إذا رُوعي فيه الاستعمال، إذ يقول: "إن الاقتصار على وصف المبنى دون الالتفات إلى المعنى والوظيفة يفضي إلى تحليل ناقص لا يفسر حقيقة الظاهرة اللغوية" (حسان، 2006، ص 45). ويكشف هذا النص بوضوح أن الترجيح في التحليل اللساني الحديث لم يعد ترجيحًا شكليًا، بل ترجيحًا وظيفيًا، تُقدَّم فيه البنية التي تؤدي وظيفة أوضح في التواصل.

ويظهر أثر الترجيح أيضا في اللسانيات التداولية، حيث تُبنى التحليلات على المفاضلة بين تأويلات محتملة للخطاب، ويُرجَّح التأويل الأكثر ملاءمة للسياق. وقد أشار أحمد المتوكل إلى أن التداولية "لا تبحث عن معنى واحد ثابت، بل عن المعنى الأرجح الذي يفرضه المقام وسياق التخاطب". (المتوكل، 2010، ص 73). وهذا التصور يجعل الترجيح أساسًا نظريًا لا غنى عنه إذ لا يمكن بناء تفسير تداولي دون افتراض تعدد دلالي سابق عليه.

وهكذا يتبين أن الترجيح لم يعد مرحلة لاحقة في البحث، بل صار جزءًا من هندسة النظرية اللسانية ذاتها، تُبنى عليه المفاهيم، وتُختبر به النماذج.

المطلب الثاني: تفسير الظواهر اللغوية

يتجلى الأثر التطبيقي للترجيح في اللسانيات الحديثة في كونه أداة تفسيرية فعالة للظواهر الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية. ففي المستوى الصوتي، يُفسَّر اختلاف البنى الصوتية من خلال ترجيح الصورة التي تحقق اقتصادًا نطقيًا وانسجامًا بنيويًا. وقد قرر كمال بشر أن "القوانين الصوتية ليست أوامر جامدة، وإنما نزوع عام نحو التخفيف وتقليل الجهد العضلي في النطق" (بشر، 1998، ص 147)، وهو تصريح صريح بأن التحليل الصوتي يُرجَّح فيه ما ينسجم مع هذا النزوع الطبيعي.

وفي المستوى الصرفي، يظهر الترجيح في اختيار التحليل الذي يفسر الإنتاجية الصرفية، لا مجرد إمكان الاشتقاق. فاللساني الحديث لا يكتفي بالقول إن صيغة ما ممكنة قياسًا، بل يسأل: هل هي مستعملة؟ وهل تملك قدرة توليدية؟ ومن هنا يُرجَّح تحليل صرفي على آخر لأنه ينسجم مع دينامية النظام اللغوي. ويشير رمضان عبد التواب إلى أن: "دراسة الصيغ خارج سياق استعمالها الاجتماعي والتاريخي تجعلها أشكالًا ميتة لا تعكس حقيقة اللغة" (عبد التواب، 1999، ص 211).

أما في المستوى الدلالي والتداولي، فالترجيح هو الآلية المركزية لفهم المعنى. فالمعنى لا يُستخرج من اللفظ وحده، بل من تفاعله مع السياق، وهو ما يجعل التحليل قائمًا على المفاضلة بين دلالات محتملة. وقد أكد عبد السلام المسدي أن: "المعنى لا يُمنح للعلامة اللغوية إلا داخل سياق الاستعمال، وما عداه افتراض ذهني لا قيمة له في التحليل" (المسدي، 1987، ص 119). يضع هذا النص الترجيح في صميم التفسير الدلالي، إذ لا معنى ثابتًا يُسلَّم به دون منافسة.

وعليه، فإن الترجيح في اللسانيات الحديثة ليس اختيارا ذاتيا، بل إجراء تفسيري منضبط تحكمه معايير الاستعمال، والوظيفة، والاقتصاد، والانسجام.

المطلب الثالث: تشكيل العلاقة بين القاعدة والاستعمال

أبرز أثر أحدثه الترجيح في اللسانيات الحديثة يتمثل في إعادة تعريف العلاقة بين القاعدة اللغوية والاستعمال الفعلي. ففي الدرس التقليدي، كانت القاعدة هي الأصل، والاستعمال يُقاس عليها، أما في اللسانيات الحديثة، فقد انقلبت المعادلة، وأصبح الاستعمال هو المرجع الأعلى والقاعدة نتيجة استقرائية له. وهذا التحول لا يمكن تصوره دون اعتماد الترجيح منهجًا أساسًا.

وقد جسد تمام حسان هذا التحول بوضوح حين قال: "القاعدة ليست قانونًا سابقًا على اللغة، وإنما هي تعميم لاحق للاستعمال، يصح ما دام الاستعمال يؤيده" (حسان، 2006، ص 312). ويفيد هذا القول أن القاعدة ذاتها تخضع للترجيح، وتُقبل أو تُراجع بقدر ما تفسر الواقع اللغوي.

وفي السياق نفسه، يرى أحمد المتوكل أن التحليل اللساني الحديث" "يُرجِّح من القواعد ما يفسر الظاهرة، ولا يتردد في إهمال القاعدة إذا عجزت عن ذلك" (المتوكل، 2010، ص 158). ويكشف هذا الموقف عن انتقال الترجيح من مستوى الجزئيات إلى مستوى المنهج العام. وبذا يصبح الترجيح أداة نقدية أيضًا، لا تكتفي بتفسير الظاهرة، بل تُسهم في تقويم القواعد والنماذج النظرية نفسها، وهو ما منح اللسانيات الحديثة مرونة تفسيرية افتقدتها النماذج الصارمة.

يمكن القول إن الترجيح في اللسانيات الحديثة لم يعد مجرد تقنية تحليلية، بل تحوّل إلى مبدأ مؤسس للفكر اللساني المعاصر. فقد أسهم في بناء النظريات الوظيفية والتداولية، ومكّن من تفسير الظواهر اللغوية تفسيرًا أكثر اتصالًا بالاستعمال، وأعاد تشكيل العلاقة بين القاعدة والواقع اللغوي. وبهذا المعنى، يلتقي الترجيح اللساني الحديث مع الترجيح في التراث العربي من حيث الاعتراف بتعدد الاحتمالات، لكنه يفترق عنه في جعل الاستعمال

والوظيفة معيارًا أعلى من القاعدة، لا العكس، وهو ما يفتح أفقًا جديدًا للتكامل بين الدرس النحوي العربي واللسانيات الحديثة على أساس منهجي لا تلفيقي.

الخاتمة:

يمثل الترجيح آلية معرفية جامعة في الدرس اللغوي، تتجلى بأشكال مختلفة باختلاف العوم والمناهج، وقد أبرزت المقارنة بين التراث واللسانيات الحديثة وجود امتداد منهجي واضح، مع اختلاف في زاوية النظر وأدوات التحليل، ويكشف هذا عن إمكان بناء رؤية تكاملية بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة، تقوم على الجمع بين القاعدة ومبدأ الاستعمال.

أولًا: النتائج

- أثبتت الدراسة أن الترجيح مبدأ لغوي عام يتجاوز النحو إلى سائر علوم اللغة، ويؤدي وظيفة تفسيرية مركزية عند تعدد الاحتمالات التحليلية.
- كشفت الدراسة أن الترجيح في التراث اللغوي العربي كان حاضرًا بوعي منهجي، وإن لم يُصَغ دائمًا في صورة مصطلح مستقل، خاصة في مباحث الصوت والصرف والدلالة والبلاغة.
- تبيّن أن الترجيح الصوتي قديمًا وحديثًا يقوم على معايير مشتركة، أبرزها الخفة والاقتصاد والانسجام، مع اختلاف الإطار النظري المؤطِّر لهذه المعايير.
- أظهرت الدراسة أن الترجيح الصرفي الحديث انتقل من الاعتماد على القياس المجرد إلى مراعاة الإنتاجية والاستعمال الفعلي للصيغ.
- أكدت الدراسة أن الترجيح الدلالي يمثل جوهر التحليل اللغوي، إذ لا يُفهم المعنى إلا في ضوء السياق والتداول والاستعمال.
- برهنت الدراسة أن الترجيح البلاغي يشكل حلقة وصل بين البنية اللغوية والمقصد الخطابي، قديمًا وحديثًا.
- اتضح أن اللسانيات الحديثة جعلت الترجيح مبدأ مؤسسًا لبناء النظرية، لا مجرد أداة تحليل جزئية.
- بينت الدراسة أن التحول من القاعدة إلى الاستعمال في اللسانيات المعاصرة قائم في جوهره على آلية الترجيح.
- أظهرت المقارنة أن الترجيح النحوي يتسم بطابع معياري تقعيدي، بينما يتسم الترجيح اللساني بطابع وظيفي تفسيري.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية

إبراهيم أنيس. (1996). *دلالة الألفاظ*. مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن الأنباري، كمال الدين. (1998). *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين*. دار الفكر.

ابن جني، عثمان. (1993). *سر صناعة الإعراب*. تحقيق حسن هنداوي، دار القلم.

ابن جني، عثمان. (1999). *الخصائص*. تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن فارس، أحمد. (1997). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*. تحقيق مصطفى الشويمي، دار الكتب العلمية.

ابن منظور، محمد. (د.ت). *لسان العرب*. دار صادر.

ابن هشام الأنصاري، عبد الله. (1985). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

أبو علي الفارسي، الحسن. (1987). *الإيضاح في علل النحو*. تحقيق حسن شاذلي فرهود، دار الفكر.

البشر، كمال. (1998). *علم اللغة العام: الأصوات*. دار غريب.

الجرجاني، عبد القاهر. (1991). *أسرار البلاغة*. تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي.

الجرجاني، عبد القاهر. (1992). *دلائل الإعجاز*. تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي.

حسان، تمام. (1990). *مناهج البحث في اللغة*. عالم الكتب.

حسان، تمام. (2006). *اللغة العربية معناها ومبناها*. عالم الكتب.

الرازي، فخر الدين. (2000). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*. دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهاني. (2009). *مفردات ألفاظ القرآن*. تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم.

الرضي الإستراباذي. (1996). *شرح شافية ابن الحاجب*. تحقيق محمد نور الحسن، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود. (1998). *أساس البلاغة*. دار صادر.

الزمخشري، محمود. (2008). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. دار الكتاب العربي.

السكاكي، يوسف. (1987). *مفتاح العلوم*. تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين. (2006). *الاقتراح في أصول النحو*. تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البصائر.

الطبري، محمد بن جرير. (2001). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر.

عبد التواب، رمضان. (1999). *فصول في فقه العربية*. مكتبة الخانجي.

عبد المطلب، محمد. (2004). *البلاغة العربية: قراءة أخرى*. الشركة المصرية العالمية للنشر.

الفراء، يحيى بن زياد. (1983). *معاني القرآن*. تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة.

فضل، صلاح. (1992). *بلاغة الخطاب وعلم النص*. عالم المعرفة.

الفيروزآبادي، مجد الدين. (2005). *القاموس المحيط*. مؤسسة الرسالة.

المتوكل، أحمد. (2010). *التداوليات اليوم: دراسة في التداوليات العربية*. دار توبقال.

المسدي، عبد السلام. (1987). *اللسانيات وأسسها المعرفية*. دار توبقال.

وافي، علي عبد الواحد. (2004). *فقه اللغة*. دار نهضة مصر.

ثانيًا: ترجمة المراجع العربية

ʿAbd al-Muṭṭalib, M. (2004). *Al-balāghah al-ʿArabiyyah: Qirāʾah ukhrā (Arabic rhetoric: Another reading).* Egyptian International Publishing Company. [In Arabic]

ʿAbd al-Tawwāb, R. (1999). *Fuṣūl fī fiqh al-ʿArabiyyah (Studies in Arabic philology).* Maktabat al-Khānjī. [In Arabic]

Abū ʿAlī al-Fārisī, A. (1987). *Al-Īḍāḥ fī ʿilal al-naḥw (Clarification of the causes of grammar)* (H. Shādhilī Farhūd, Ed.). Dār al-Fikr. [In Arabic]

Al-Bashar, K. (1998). *ʿIlm al-lughah al-ʿāmm: al-aṣwāt (General linguistics: Phonetics).* Dār Gharīb. [In Arabic]

Al-Farrāʾ, Y. b. Ziyād. (1983). *Maʿānī al-Qurʾān (Meanings of the Qurʾān)* (A. Y. Najātī et al., Eds.). Egyptian House for Authorship and Translation. [In Arabic]

Al-Fīrūzābādī, M. al-D. (2005). *Al-Qāmūs al-muḥīṭ (The comprehensive dictionary).* Muʾassasat al-Risālah. [In Arabic]

Al-Jurjānī, ʿA. al-Q. (1991). *Asrār al-balāghah (The secrets of rhetoric)* (M. M. Shākir, Ed.). Maktabat al-Khānjī. [In Arabic]

Al-Jurjānī, ʿA. al-Q. (1992). *Dalāʾil al-iʿjāz (The proofs of inimitability)* (M. M. Shākir, Ed.). Maktabat al-Khānjī. [In Arabic]

Al-Masdī, ʿA. al-S. (1987). *Al-lisāniyyāt wa-ususuhā al-maʿrifiyyah (Linguistics and its epistemological foundations).* Dār Tūbqāl. [In Arabic]

Al-Mutawakkil, A. (2010). *Al-Tadāwuliyyāt al-yawm: Dirāsah fī al-tadāwuliyyāt al-ʿArabiyyah (Pragmatics today: A study in Arabic pragmatics).* Dār Tūbqāl. [In Arabic]

Al-Raḍī al-Istarābādhī. (1996). *Sharḥ Shāfiyat Ibn al-Ḥājib (Commentary on Ibn al-Ḥājib's Shāfiyah)* (M. N. al-Ḥasan, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah. [In Arabic]

Al-Rāghib al-Aṣfahānī. (2009). *Mufradāt alfāẓ al-Qurʾān (Vocabulary of Qurʾānic terms)* (Ṣ. A. Dāwūdī, Ed.). Dār al-Qalam. [In Arabic]

Al-Rāzī, F. al-D. (2000). *Mafātīḥ al-ghayb (Al-Tafsīr al-kabīr) (Keys to the unseen: The great exegesis).* Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī. [In Arabic]

Al-Sakkākī, Y. (1987). *Miftāḥ al-ʿulūm (The key to the sciences)* (N. Zarzūr, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah. [In Arabic]

Al-Suyūṭī, J. al-D. (2006). *Al-Iqtirāḥ fī uṣūl al-naḥw (Proposal in the principles of grammar)* (ʿA. Ḥ. ʿAṭiyyah, Ed.). Dār al-Baṣāʾir. [In Arabic]

Al-Ṭabarī, M. b. Jarīr. (2001). *Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān (Comprehensive exposition of the interpretation of the Qurʾān)* (ʿA. b. ʿA. al-Turkī, Ed.). Dār Hajar. [In Arabic]

Al-Zamakhsharī, M. (1998). *Asās al-balāghah (The foundation of rhetoric).* Dār Ṣādir. [In Arabic]

Al-Zamakhsharī, M. (2008). *Al-Kashshāf ʿan ḥaqāʾiq ghawāmiḍ al-tanzīl (The revealer of the truths of the subtleties of revelation).* Dār al-Kitāb al-ʿArabī. [In Arabic]

Faḍl, Ṣ. (1992). *Balāghat al-khiṭāb wa-ʿilm al-naṣṣ (Rhetoric of discourse and text linguistics).* ʿĀlam al-Maʿrifah. [In Arabic]

Ḥassān, T. (1990). *Manāhij al-baḥth fī al-lughah (Research methodologies in language).* ʿĀlam al-Kutub. [In Arabic]

Ḥassān, T. (2006). *Al-lughah al-ʿArabiyyah maʿnāhā wa-mabnāhā (The Arabic language: Its meaning and structure).* ʿĀlam al-Kutub. [In Arabic]

Ibn al-Anbārī, K. al-D. (1998). *Al-Inṣāf fī masāʾil al-khilāf bayna al-naḥwiyyīn (Equity in the issues of disagreement among grammarians).* Dār al-Fikr. [In Arabic]

Ibn Fāris, A. (1997). *Al-Ṣāḥibī fī fiqh al-lughah wa-sunan al-ʿArab fī kalāmihā (Al-Ṣāḥibī in philology and the linguistic practices of the Arabs)* (M. al-Shuwaymī, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah. [In Arabic]

Ibn Hishām al-Anṣārī, A. (1985). *Mughnī al-labīb ʿan kutub al-aʿārīb (The sufficing guide to the books of inflection)* (M. M. ʿAbd al-Ḥamīd, Ed.). Dār al-Fikr. [In Arabic]

Ibn Jinnī, ʿU. (1993). *Sirr ṣināʿat al-iʿrāb (The secret of the craft of inflection)* (H. Hindāwī, Ed.). Dār al-Qalam. [In Arabic]

Ibn Jinnī, ʿU. (1999). *Al-Khaṣāʾiṣ (The characteristics)* (M. A. al-Najjār, Ed.). Egyptian General Book Organization. [In Arabic]

Ibn Manẓūr, M. (n.d.). *Lisān al-ʿArab (The tongue of the Arabs).* Dār Ṣādir. [In Arabic]

Ibrāhīm, A. (1996). *Dalālat al-alfāẓ (The semantics of words).* Anglo Egyptian Bookshop. [In Arabic]

Wāfī, ʿA. ʿA. (2004). *Fiqh al-lughah (Philology).* Dār Nahḍat Miṣr. [In Arabic]